

# زينب

نفحات من شعر الغناء

أحمد زكي أبو شادي

جمع حسن صالح الجداوي



# زِينب

نفحات من شعر الغناء

تأليف

أحمد زكي أبو شادي

جمع

حسن صالح الجداوي



زينب

أحمد زكي أبو شادي

الناشر مؤسسة هنداوي سي أي سي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي أي سي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،  
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: عبد العظيم بيدس.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٦٥٨ ٤

جميع الحقوق الخاصة بالإخراج الفني للكتاب وبصورة وتصميم الغلاف  
محفوظة لمؤسسة هنداوي سي أي سي. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا  
العمل خاضعة للملكية العامة.

Artistic Direction, Cover Artwork and Design Copyright © 2019

Hindawi Foundation C.I.C.

All other rights related to this work are in the public domain.

## المحتويات

٧	إهداء
٩	الشعر والنقد
١١	مقدمة الناشر للطبعة الأولى
١٥	شعر الغناء
١٧	إلى المغنّي
١٩	الطيب والزهر
٢١	نظرة
٢٣	عرس المأتم
٢٥	يا قلب!
٢٧	لفتات الغريب
٢٩	زينب
٣١	شمس نيسان
٣٣	الحلم الصادق
٣٥	كأس شمبان
٣٧	ذكرى الحب الأول
٣٩	خصلة شعر
٤١	إلى ملك نامم
٤٣	وداع الشباب
٤٥	عبرة الشباب
٤٧	مذهبي في الجمال

٤٩	الصورة المعبودة
٥١	تناقض الحب
٥٣	نقد وملاحظات
٥٩	الكروان الرسول
٦١	الجزاء العادل
٦٣	يا إلهي!
٦٥	عمر الحب
٦٧	طفولة الحب
٧١	تولد الغناء والشعر

## إهداء

إلى الجمال الذي من نفع عزته      رشفت حلو لذاذاتي وأشجاني  
أهدي بنات الحجا (برًّا بمبدعها      وكنزِ ديوانه الوضاء): ديواني

أحمد زكي أبو شادي





## الشعر والنقد

### رأي العلامة ابن قتيبة

رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدّم قائله، ويضعه موضع متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده، إلا أنه قيل في زمانه ورأى قائله، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثًا في عصره، وكل شريف خارجيًا في أوله.

عن كتاب الشعر والشعراء



## مقدمة الناشر للطبعة الأولى

يُؤثّر عن جوبرت Joubert قوله: «يجب أن يفتن الغناء» وفتنة الغناء على ما أعتقد ليست ربيبة العذوبة الصوتية فقط، بل هي وليدة الروحانية التي تهز المغني أيضاً، والغناء قرين الشعر فنُّ جميل، فإذا صدق الزهاوي في رأيه:

إذا الشعرُ لم يهزك عند سماعه فليس حرياً أن يُقال له شعرُ

فمثله صادقاً من يعتبر الغناء في حكم الضوضاء المهذّبة، إذا تجرد من العاصفة القوية المؤثرة، وعلى هذا فليس كل منظوم صالحاً لأن يُعدّ من شعر الغناء، وما صلح منه لذلك كان جديراً بأن يُحبّ ويُستظهر، فهو سلوة الحزين، وأنس البائس، وراحة العاني، ونديم الأرواح.

تأملت نشأة أو مقر رجال النهضة الشعرية بمصر في القرن الحاضر، فرأيت لبعض المدن حظاً كثيراً وأكثرها عديم الحظ، وأظهر الأمثال حظ القاهرة بشوقي ومطران وحافظ والعقاد، وطنطا بالرافعي. فيحق لنا معشر السويسين أن نهني أنفسنا والأدب بإقامة مثل الدكتور أبي شادي بيننا، عرفته منذ سنوات بآثاره: آثار طفولته الأدبية التي لم تخل مع ذلك من نفسية عالية، ثم ببدائعه في كبريات الصحف والمجلات، وبما تفضل به أخيراً على جريدتي «السويس الناهضة»، فشاقتني قصائده الطلية على تنوع موضوعاتها، وإنما أسفتُ لأنه قليل العناية بآثاره الأدبية، ولا سيما شعره الغنائي الذي لا أشك في أنه نظمه وينظمه سلوى فؤاده وحده، فتبعثرت هذه النفحات الزكية تبعثر الرياحين، وتعرضت للنهب والضياع. فدفعني هذا الشعور والأسف إلى استئذانه في جمع وطبع شيء من هذه النخب الجميلة لشعر صباه، راجياً أن أوفق في الطبعة الثانية إلى الاستزادة منه

خدمةً للأدب، فحرامٌ أن تضيع أمثال هذه اللآلئ السنية المتساقطة من فم قائلها الشجِّي المتترنم، وهو الذي وصفه نادرة العصر في النظم والنثر خليل بك مطران بقوله:

ضنَّ به الدهرُ وما	أضنَّه بمثله
بعالمٍ كعلمه	له اتساع عقله
ومخلصٍ إخلاصه	في نقده ونقله
ومبرئٍ للروح قب	ل الجسم في معتله
وقاطفٍ أعذبَ شهيد	من خلایا نحله
ومبدعٍ لبعض ما	أبدعه لا كله
وثابتٍ في أيسر	الأمر وفي أجله
ونائرٍ يروض صع	ب القول روض سهله
وشاعرٍ رقيقه	نو روعة كجزله

ولقد أصبحت مهمة الناشر العصري البحث عن كنوز الأدب المستورة، واقتناص الفرائد المنتورة، لا القنوع بالنقد والطبع وحدهما، فكم من أديب لا يحفل بالتقدم إلى الناشرين ببدايع إلهامه، قانعاً بما فيها من السلوى له وحده، فلا يلبث الزمن أن يودي بها، ويخسر الأدب والإنسانية جمالها. وإني لسعيدٌ بتوقفي إلى إذاعة هذه النغمات والمعاني الشائقة التي اخترت عنوانها الأول أحبَّ اسم للشاعر تردّد فيها. وأملي أن تساعدني الظروف على اتباع هذه الحسنة بحسنات أخرى في أبواب جديدة لشاعر السويس الناهضة، فالعصر عصر عمل وزكاة لكل ذي علم وأدب، ومن أغفل هذا الواجب على قدرةٍ منه أغفله الجمهور، وتبرأ من جموده العلم والأدب، فألى أديبنا العالم الفنّان أقدم شكر الأدب ورجاءه معاً، وأردّد قول الشاعر الثائر الكبير الأستاذ محمد صادق عنبر في مخاطبته:

يا حكيم اليراع (مصرّ) ترجيـ	ك فطوع لها اليراع الحكيمَا
وكن اليوم في الشباب كما كنـ	ت لها في الصبا ولياً حميمَا
تنفض الليل فوق طرسك نورًا	وتحيل النهار مسعى جسيمَا
مرسلاً للنثير درًا نثيرًا	مرسلاً للنظيم درًا نظيمًا

ولكم موقف وقفتَ (لمصر) مُعلياً مجدها العريق الصميما  
ناشط الكاهلين تحملُ ممّا حَمَلْتِك العلياءُ أمراً عظيما  
يا (زكياً) عَهْدِي به كلما أَعَزَّ (مصرًا) برُّ أبز رحيمًا  
وهي تدعو الكفافة مِنْ مثلك اليو مَ فلبِّ الدعاءَ حرًّا عليما

حسن صالح الجداوي

السويس في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤



## شعر الغناء

### بقلم أحمد محمد مظهر

شرفني صديقي الأستاذ حسن أفندي صالح الجداوي الغيور على حرمة الأدب بكلمة نقدية، دعاني إلى كتابتها ليرضمها إلى مجموعة الأدب الثمين التي ينشرها اليوم بعنوان «زينب: نفحات من شعر الغناء»، فتلبيةً لدعوته الصادقة أكتب هذه الكلمة، وإن كانت غير ما يرتقب، فقد ذهب بروحي النقدية إعجابي بما تذوقته من حلو نخبه المسكرة المشجية معاً، وما لمحتُه فيها من القابلية العظمى لضروبٍ من التوقيع، كأنما ناظمها موسيقي قبل أن يكون شاعراً، ولا عجب فكلُّ بيتٍ بل كل لفظٍ فيها يُشعرك بشرف العاطفة، ودقة المعنى، وسلامة الذوق، وعمق الحس الصافي، وخفة الروح الكريمة، وحب الفن، وهذه صفات حريّة بأن تخلق النور من الظلام، والماس من الفحم، والجنة من النار. ولو كان شاعرنا قد تحمّل عذاباً أكثر في سبيل عواطفه؛ لكان في اعتقادي ربح الأدب والفن أجزل، فإن حسناته التي نترنم بها الآن بشوق وإعجاب، إن هي إلا بنات الألم والجزع والحزن العميق.

تسألني عن شعر الغناء، ولن أجيبك جواباً فلسفياً طويلاً، أو فنياً متعباً، وإنما أكتفي بتعريف شعر الغناء بشعر السلاسة المتدفقة، والمعنى الجذاب، والعاطفة الرنانة، والذوق الموسيقي، والغالب أن مثل هذا الشعر لا يقوله ناظمه نفسه إلا متغنّياً، فهو في أصله وليد الموسيقى، ولقد تدلّى شعر الغناء في مصر لعوامل كثيرة، فمما يغتبط له رجال الفن أسوةً برجال الأدب أن تظهر روح التجديد والعبقرية في سمائه، فالفن مظهر من

مظاهر الثقافة في الأمة، ونهضتنا القومية الاستقلالية جديرة بأن تتسرب لجميع ظواهر حياتنا.

تلوتُ ثم تلوتُ وغنيت الكثير من الأشعار الحية التي تضمنتها هذه النفحات، فلم تفتني ملاحظة تهذيبها وأدبها العالي الذي لن تخجل منه الفتاة العذراء في خدرها، ولم تفتني دقة التصور التي تغار منها ريشة الرسام الماهر، ولا المعاني الوثأبة، ولا الحنين الذي يرفُّ له الجماد، ولا كياسة التعبير وشرف المرمى، ولا سلامة الذوق في اختيار الألفاظ بحيث لا تستطيع أن تجد لفظاً أو حرفاً في غير محله، سواء بالنسبة للجمال الشعري أو للقابلية الفنية، فلم أتردد في اعترافي قريراً: هكذا يكون شعر الغناء!



## إلى المغنيّ

شَنَّفْتَ أرواحًا لصوتك أمنتُ  
وحكمتَ بالعود المرنِّح مثلنا  
فلك الثناءُ من العواطف والنُّهى  
وليحيَ فمُّكَ خيرَ ذكرى ليلَةٍ

بالوحي والإيقاع والإبداعِ  
في دولة الألباب والأسماعِ  
في الأسر بين تعانق ونزاعِ  
أهدتُ إلى الإيناس أكرمَ داعِ



## الطيب والزهر

وفا فحياً غرامي حينَ حيّاني  
يا قبلةَ الشعرِ يا شمسي وديواني  
يودي به البعدُ لولا حبُّك الداني  
وكنتِ كالشمسِ في حُسنٍ وإحسانٍ  
وفيضِ نورِكِ إسعادًا لإنساني  
وكل معنى دليلُ الصبرِ للعاني  
في أحرفِ النورِ من معبودي السّاني  
حروفُه من فؤادي (زين) إيماني  
في مكنِ الخلدِ من نفسي ووجداني  
خوفَ الفراقِ وكوني عندَ حُسابي

كتابك العذبُ يا رُحي ورِيحاني  
وناشدَ الشُّعرِ من قلبي فهاك هوى  
رحلتُ عنك رحيل الطيبِ عن زَهْرٍ  
فكنتِ كالزهرِ برًّا والنسيمِ رَضَى  
أهلاً بمكتوبك البسّامِ يُنعشني  
في كل لفظٍ معاني الأُنسِ ضاحكةً  
أهلاً به من أمينِ حاملٍ قُبلاً  
لثمتهُ في تُقى أضعافَ ما لثمتُ  
وصنّته والأبرُّ الجَمِ من ورعي  
الله يرعاك لي يا مهجتي فدعي



## نظرة

عتبتُ كان أسيرها القلبُ الخلي  
مِنْ لَحْظِهَا ما أَتَّقِي لمؤملي  
أنا قسمةٌ لمعزِّزٍ ومذلِّلِ  
تبقى كسابقةِ الشُّعورِ الأوَّلِ  
باقٍ على الإيفاءِ والشرفِ العلي  
ولو أنَّه نال المُنَى لم يفعلِ  
بجلالةِ الماضي وأنسِ المقبلِ

أخذتُ تُلقِّنني الغرامَ بنظرة  
فجعلتُ أسألها الأمانَ وأتقي  
ما بين فتنتِها وبلسمِ حُسنها  
يا (زينُ) ما في النفسِ إلا حرقةٌ  
أحببتُكِ الحبَّ الصحيحَ وإنني  
يتطلَّعُ الصبُّ المشوقُ لقبله  
صبراً على التقوى وإن ذهب الهدى



## عرس الماتم

ر وفي الهجر يا أغاني الظلام  
ر شقاءً لقلبه المستهام  
أن يُسرَّ الحبيب من إيلامي!  
ضاحكًا من فؤادي المترامي!  
وكذا يرتضي أميرى خصامي  
كيف أنسيت أشوق الأحلام  
هازئًا من تقلب الأيام؟  
أقبل الفجر من رسول الغرام  
تتسامى لحسبك البسام  
هو للشعر من نبالك رامي  
من أغاريد فتنتي في منامي  
كيف أنسيت في غرور هيامي  
غير مرآك أو أبى لي مدامي؟  
إيه يا نجم قاتل من ظلامي  
واذكري في الغداة معنى أوامي  
دمعة منك سوف تروي عظامي!

عذبة أنت في الخفاء وفي الجهـ  
بلغي العاشق الأمين على العمـ  
وأرقأي أدمعي فحسبي عزاءً  
ويزف الجمال جنة قلبي  
زاعماً أنني به غير أهل  
يا حياتي! ويا منارة لبي!  
كيف أنسيت يا غرامي ولوعي  
ألثم النور في دعاب إذا ما  
وإخال الأزهار في روض بيتي  
ويجيء الأصيل ينشر تبراً  
ويجيء المساء بالوحي صدقاً  
كيف أنسيت يا ربيبة عمري  
هل قضى الحب من غذاء لروحي  
إيه يا (زين) أفل من شبابي  
افرحي العمر واسعدي دون قربي  
وأنا المذنب الغفور وحسبي





## يا قلب!

يا كاره العيش من حُبِّ ومن وجلِ  
هل بعد عهد النوى تُدني له أجلي  
وعش له في خفوق الرفق والغزل  
من نعمة الهجر فرض البرِّ والأمل  
ويطلب الصفو في الآلام لا الجذل  
جلالة الحسن فيك النُّبل من بطل  
فالفوز للصبر لا اللهم والزَّل  
بذكرها، فغدا يبكي ولم يزل  
وكل خفق لك القتال من زجل!  
به الصبابة لون الحب لا الخجل  
من لحظها العمر يزجيه بلا ملل  
أو كالرضيع هفا شوقًا إلى قُبَل!

ثق بالحياة ولا تخفق على عجلِ  
أنفقتُ فيك دموعًا كم بررت بها  
ثق يا حليف الهوى بالحب أين مضى  
مُسبحًا باسمه المعسول ملتمسًا  
كذا يضحِّي الوفيُّ الأنس مغتبطًا  
لولا العذاب ولولا البرُّ ما عرفتُ  
ثق يا فؤادي ولا تصدعك نائبة  
ثق يا وفيًا تغنى شعره طربًا  
في كل دقة لحنٍ منك عاصفة  
يدوي دويًا بك الغالي دمُ عرفت  
كأنما الوحي لا سلك ولا سببُ  
ترفُّ كالطير مذبحًا وفي قفصِ



## لغات الغريب

عذابي عذاب النفى في الجبل الخالي  
أكفكف دمعي في أشعة آصال  
ولم يبق غير الذكر والمثل العالي  
خُلقت لأعطي الدهر حكمة أجيال  
وأوذيت من أجل الوفاء ومن آلي  
على الدين والدنيا على الشرف البالي  
ويحملني رفقا إلى الحرم العالي  
إلى أمة من خلقها كل إجلال  
شفائي من داء بقلبي قتال  
وحولي ضباب العيش لا الأمل الحالي  
ستحيا على رغم الدسائس أفضالي  
فتنقم لي العلياء والزمن التالي  
غفورا، وكم تشجيه نكبة أمثالي  
حُجبت ولكن ما سناك لإغفال  
وما كان عبداً في غرامك بالسالي  
أصاب به الزلزال قدوة أبطال  
فأدفن أحزاني وأطرح أثقالِي  
كلثم البخيل الدرّ في كفّ لال!

ألا في سبيل الحبّ والأمل الغالي  
شريداً وحيدا للطبيعة موئلي  
وأندب عمري قد توّلى أعزّه  
كأنّي لما لاقيت من فرط شقوتي  
جُزيت على طهري بتغريب مهجتي  
فبننت صبياً في رجولة ناغم  
يحنّ إليّ البحر يخفق ماؤه  
إلى دولة في أرضها العلم نابت  
إلى الوطن المحيي الموات فلم يصب  
أحرم من شمسي وأحسب هانئا  
فيا عصبه شاءت فنائي وأسرفت  
ويذكرني قومي ويعرفني الهوى  
عُرفت لصوص الحبّ والحبّ لم يكن  
ويا شمس جنات النعيم لخاطري  
سلوت فؤادي في غرامك طائعا  
سأحيا وأفنى فيك أصدق عاشق  
وقد تنصف الأيام نفسي وهمّتي  
وألثم ثغرا ساغ لي منه بخله



## زينب

لا يرحم القلب لدى قريبك!  
ما شئت ما شئت هوى صبك!  
كوني كعهد الشمس في حُبك  
من أجلك فابقي على قلبك  
للعائر الراني إلى طبك  
للظهر تُدنيني إلى ربك  
لا تُسرفي حُزناً على ذنبك  
للاكمل الأجمال من دأبك  
أو متُّ ناجاني هوى تربك!

زينب! ما أحلى الخفوق الذي  
زينب! يا روحي وريحانتي  
زينب! يا شمسي ويا بهجتي  
أغليتُ أشواقي ضنيناً بها  
كوني السنَى والهدى والمنى  
كوني أيا ملكي غاية  
بالله يا نُعمَى غرام الصبا  
حسبي ووجداني وكلي الفدا  
إن عشتُ لم تنسخ صلاتي النوى



## شمس نيسان

متى الوصالُ وقلبي عرشك الساني؟  
حسي ونفسي وإلهامي وسُلواني؟  
من نلن نائلها أحراس إيوان  
فيُحمد الظلمُ والإنصافُ في آن  
يُخشى عليه فإن البعد حُسباني  
وربَّ قتل بقربٍ منك أحياني  
وحظُّه بلُّ نيران بنييران  
بل زادها ثملاً من قسوة عان  
يذوب فيه فيحيا الخالد الفاني  
من الهباء سوى من هجرك الجاني!  
إلى اللقاء فأحلى الوصل رُوحاني  
وسرُّه صفو حرمان وإحسان  
وعانق الليل شكراً خاطراً هان  
فم المعدَّب يا أمالَ نيسان!  
فذاك أولى بمعبودي وإيماني!  
نورًا وعطرًا ووحياً منه سُكران!  
شعري كأنَّ بها إعجازَ قرآن!  
إلا سطوع سنَى لا ستر جُثمان!

يا شمسَ نيسان في برج لها ثان  
متى تنعمَ أوطانٌ مروعةٌ  
هيهات تنزل دون الشمس منزلها  
متى تحين أمانٍ منك شائقةٌ  
لا ترحميني إذا ما خلّتني فلگا  
الشمس تجتذب الأجرام قاتلةً  
الله في عاشق شبِّ الغرام به  
إذا الشموس تجنّت لم تضع أملاً  
أقسى أذاها عناقٌ لا فراق له  
ردّي حنانك إنني لم أصر بشراً  
لا تتركه بلا جذبٍ ولا سببٍ  
سلي خيالك يخطرُ في المنام له  
إذا تجلّى تهادى اللطفُ في ملكٍ  
سليه يبسمُ بآمالٍ يقبلها  
سليه يخلعُ عذارَ الدل عن خفر  
سليه يسفرُ فينشرُ خمرةً كرمتُ  
سليه ينطقُ بأنغام يرتلها  
سليه ينزع ثيابَ الكون ليس له

سليه ينصفُ فؤادي في عبادته  
لا تستقيم فروضُ من تنسُّكِهِ  
ومشتهى نظراتٍ غيرِ عائرةٍ  
وإنما أنا أخشى حكمةً وهوى  
فحبذا أنتِ عن برٍّ وعن ثقةٍ  
كوني لمثلي الذي يرضاه مثلك لي  
واغتدي ملكًا يرعاك مشتركًا  
فإن قبلتِ فما أبقيتِ من نعمِ

فدينه دينِ نشوانٍ وظمآن!  
إلا على قُبلاتِ بينِ ألحان!  
كأنه جارًُّا عبَّادُ أوثان!  
أن لا يفيك خيالُ سجدةِ الراني  
سفيرةَ الطيفِ يا رُوحِي ورِيحاني  
أكن لكِ المثلَ الأعلىِ بعرفاني  
في الخلدِ يمرحُ منا فيه روحانِ  
وإن عصيتِ فقد أفنيتِ وجداني!



## الحلم الصادق

هات لي العود وغنيّ      واسمعي شجوي وأنيّ  
تطرحي الأحرانَ عنيّ      فاؤدّي صلواتي!

\* \* \*

قالت الحسناء سمعًا      يا حياتي هاك طوعًا  
من سُلّاف الحبّ نوعًا      يا حياتي! يا حياتي!

\* \* \*

ثم غنّنتني اعتذارًا      رنحت منه الهزارا  
وأحبّبتني جهارًا      يا له من حبّ عات!

\* \* \*

ترسل الصوتَ شجيًّا      يملأ القلبَ دويًّا  
ليته عاش خليًّا      ليته الباقي لآت!

\* \* \*

ثم كفّت عن عذابي      بأغاريدِ الشباب  
وتمادت في دعابي      باللحاظِ الفاتناتِ

\* \* \*

ويحُلّو الشعرَ عطفًا      وجمالِ الشهدِ قطفًا

زينب

لستُ إن حاولتُ وصفًا      بالغًا أحلى الصفاتِ

\* \* \*

إيه يا يومٌ تقضى      في نعيم كيف ترضى  
لفؤادي العودَ أرضا      كيف ترضى لي مماتي؟

\* \* \*

قال بزًّا بي رحيمًا      لستَ من يحيا سقيما  
بعد عهدي الحر فيما      نقتَه من حسناتي

\* \* \*

وأتى الليلُ المُوافي      بين أحلامي بشافِ  
من حبيبي واعترافي      سرُّه سرُّ الحياة!

\* \* \*

ودنا الفجرُ بفجر      من وُلوع هدِّ صبري  
وحبيبٍ ذاق ثغري      فأتى وهو المواتي

\* \* \*

إيه يا (زينَ) شبابي      يا مُنى قلبي المُذابِ  
يا مُدامي يا شرابي      هاتِ من كاسكِ هاتِ!

## كأس شمبان

وَحُصِّيَ بِهَا الْأَزْهَارَ أَجْمَلَ أَقْدَاحِ  
لِقَلْبِي فَمَا تَغْنِي السَّلَافُ عَنِ الصَّاحِ  
فَمَا يَسْكُرُ الْأَرْوَاحَ مَسْكِرَ أَشْبَاحِ  
بِسِحْرِكَ شَاقَتْ قَبْلَ عَاشِقِهَا اللَّاحِي  
وَتَنْثُرُ سَنِيَّ الدُّرِّ هَزَّةً مَسْمَاحِ  
عَلَى وَهَجِ الْإِصْبَاحِ أَكْرَمَ سَبَّاحِ  
غَرَامِي وَيُطْفِي مِنْ شَجُونِي وَأَتْرَاحِي  
فَتُهِدِي إِلَى الْأَرْوَاحِ قَبْلَةَ تَفَاحِ!  
لَا نَعِشُهَا شَوْقٌ إِلَى هَذِهِ الرَّاحِ!

حَيَاتِي هَاتِ الرَّاحَ مِنْ ثَغْرِكَ الضَّاحِي  
وَلَا تَكْتَفِي بِاللِّثْمِ يَا نَفْحَ زَهْرَةِ  
وَلَا تَسْتَعِضِي عَنِ سِنَاكِ بِخَمْرَةِ  
سِوَى خَمْرَةِ وَضَاءَةٍ إِنْ نَفَحْتِهَا  
أَشِيرِي إِلَى (الشَّمْبَانِ) تَرْقُصُ صَبَابَةً  
غَيُورٌ نَفُورٌ صَاعِدٌ هَابِطٌ مَعَا  
مِنَ اللَّهَبِ الْبَسَامِ يَرُوي مُذَابَهُ  
يَكْرِمُهَا التَّفَاحَ تَكْرِيمَ عَاشِقِ  
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْوَاحُ سَكْرَى بَغِيرِهَا



## ذكري الحب الأول

وقُبلة شوقٍ من فؤادِ الفتى الضامي  
وما زلتِ سلطانًا عليه بأحكام  
صبيًّا، حُفظتِ الدهرَ مطلعَ إلهامي  
يخاف دنوَّ الفجرِ والمشرقِ الدامي  
صلاتي حزينَ العمرِ توجعُ أنغامي  
إلى المغربِ القاصي ضحيةً أسقامي  
تبتُّ من الآلامِ أعذبَ آلامي  
كلاثم أزهار وراصد أجرام  
رسولَ الهوى الباكي الغفورَ لآثامي  
قرأتُ ثناياها بقيةً إسلامي  
خيالٌ للطفٍ من جمالك بسَّام  
بهجرك، والمهجورُ عبدٌ لأوهام  
أنسك والنعمى رهينةُ أحلامي؟  
أو ازددتِ تيهًا عدَّ شاهدَ إجرامي  
ومن حقك الباقي الجلالُ وإعظامي  
وأعشقُ شهدًا أنتِ مظهرُهُ السامي!

سلامَ لقاءٍ بعد فرقة أعوامٍ  
تقلُّبت الدنيا بحربٍ وثورةٍ  
فيا منبعَ الوحي الذي نقتُ حلوه  
أخاف على نفسي اللقاءَ كعابِدِ  
فحسبي من الأيامِ وجدي ولوعتي  
رحلت رحيلَ الوردِ قبل أوانه  
وملئني من الحبِّ الزكيِّ سلافةً  
فكنتُ على الذكرى شجيًّا وهائبًا  
إذا خفقَ الرطبُ النسيمُ حسبتُه  
وإن خطرُ من شمس (مصر) رسالةً  
وما شمتُ أنسا لم تكن أنتِ روحه  
وما اكتأبتُ نفسي لغير اتهامها  
فيا (زين) أحلامي ويا مهدَ نعمتي  
وسيان جدتِ اليومَ عفواً وتوبةً  
فمنكِ عرفتِ الشعرَ والحسنَ والهوى  
أعيشُ كعيشِ النحلِ نفعًا لغيره



## خصلة شعر

خَلَوْتُ إِلَى مَهْجَتِي فِي الظَّلَامِ      أَخْفَفَ مِنْ حَظِّهَا العَابِسُ  
فَقَالَتْ: حَرَامٌ، حَرَامٌ، حَرَامٌ!      فَمَا الأَنْسُ فِي البَيْنِ عَنِ مَوْئِسِي  
وَهَلْ طَابَ لِلعَاشِقِينَ المُدَامُ      إِذَا احْتَجَبْتُ (زِينَةً) المَجْلِسُ

فبِاللَّهِ دَعْنِي لِدَمْعِي الحَزِينُ  
فَقَدْ شَاءَ رَبِّي لِمِثْلِي الأَنِينُ  
وَكُن رَاحِمًا، إِنَّ لَوْمِي عَذَاب!

وَحَاوَلْتُ جُهْدِي بغيرِ انْتِفَاعٍ      أَعَلَّمَهَا حِكْمَةَ الصَّابِرِ  
فَقَالَتْ - وَمَا قَوْلُهَا مَا يُدَاعُ -      مِنْ العُذْرِ مَا لَمْ يَزَلْ أَسْرِي  
كَأَنَّ الوَفَاءَ لَهَا الامْتِنَاعُ      عَنِ الصَّفْوِ فِي الأَمْسِ والحَاضِرِ

إِلَى أَنْ يَحِينَ اللِّقَاءُ الضَّنِينُ  
إِلَى أَنْ يَعُودَ الغَرَامُ الدَّفِينُ  
إِلَى البَعْثِ مِنْ بَرِّهَا المَسْتَطَاب!

وَمَا هُوَ إِلَّا خَفُوقِ الفِؤَادِ      عَلَى الذِّكْرِ فِي سَاعَةٍ مِنْ زَمَنِ  
وَفِي الأفقِ حَلَفَ الرَّبِّي وَالوَهَادُ      أَتَى البَدْرُ فِي صُفْرَةٍ مِنْ وَهْنِ  
يَرُوعُ بِمَطْلَعِهِ فِي جِدَادٍ      وَيُسْلِي الشَّجِيَّ إِذَا مَا فَتَنَ

فِرَاقِبَتُهُ وَالضِّيَاءُ الثَّمِينِ  
يَفِيضُ عَلَى الكَوْنِ فِيضَ الأَمِينِ  
عَزَاءً، وَلَكِنْ لِنَفْسِي السَّرَاب!

وأسْكَرَنِي حُبُّهَا نَائِمًا      فلم أَسْتَفِقْ قَبْلَ شَمْسِ الصَّبَاحِ  
 فَقُلْتُ أَيَا مُهْجَتِي ظَالِمًا      أَمَانِيهِ مَنْ خَالَهَا مَا يُبَاخُ  
 فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْمَنَى دَائِمًا      وما المَوْتُ إِلَّا الرِّضَى لا الكِفَاخُ  
 فَهَلْ أَكْتَفِي مِنْ غَرَامِي بَدِينُ  
 هُوَ الْوَجْدُ فِي بَاقِيَاتِ السَّنِينِ  
 وَشَعْرُ الْغِنَاءِ لِقَلْبِي الْمَذَابُ؟  
 فَنَاولَنِي حَامِلٌ لِلْبَرِيدِ      كِتَابًا يَرِفُّ عَلَيْهِ الْحَنَانُ  
 كَأَنَّ بِهِ لِلْفَوَادِ الشَّهِيدِ      حَيَاةً تَعِيدُ إِلَيْهِ الْأَمَانَ  
 فَحَنَّتْ لَهُ مُهْجَتِي مِنْ جَدِيدٍ      وَكَانَتْ عَلَى يَاسِهَا فِي تَفَانٍ  
 فَقَبَّلَتْهُ قُبْلَةً مِنْ حَنِينٍ  
 هُوَ الْحُبُّ مِنْ كُلِّ حَسِي الرِّهِينِ  
 بِمَا أَلْهَمْتُ مِنْ شُعُورٍ مَجَابٍ!  
 وَذَقْتُ بِهِ مِنْ مَعَانِي الْجَمَالِ      شَهِيًّا مِنَ الْحَسَنِ لَا يَنْتَهِي  
 وَالْفَيْتُ مِنْ شِعْرِهَا كَاللَّالِ      وَمِنْ شِعْرِهَا خِصْلَةٌ تَزْدَهِي  
 بِمَا بَلَغَتْهُ وَكَانَ الْمُحَالِ      مِنْ الْوَصْلِ لِلْعَاشِقِ الْمَشْتَهِي  
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَشَعْرُ الْجَبِينِ  
 سَيَتَّبِعُهُ كَالصَّبَاحِ الْمُبِينِ  
 شَرُوقِكَ، أَمْ ذَاكَ دَاجِي السَّحَابِ؟



## إلى ملك نام

رثاء الحبيب الجاني

أفديه لو يرضى الفداء رداك  
شكري إذا منع الثناء نواك  
عن علة الإشقاء والإهلاك  
قتلوك بين البغي والإشراك  
الأيبين بعهدا الأفاك  
يطويه حتى لا يعيش يراك  
أبكي الحنانَ الجمَّ في نكراك؟  
دومًا على النعمى وحظ الشاكي  
حرًا وهان بها عزيزُ سنالك  
وتقطعين ضمائر النَّسَّاك  
ما صُنِّتِ في قلب الحزين هواك  
وأرى على بعد الجمال هلاكِي  
صبُّ على مثواك جاثٍ باك  
سيعيش في الدنيا بقلبٍ ذاك  
فرأى الشفاء العذب في مثواك  
أحياه أن يفنى بطيبِ ثراك!

حجبتُ عوادي الدهر مبسمك الذي  
وأفيه من جرحي وكل جوارحي  
سيرتي إلى ملك الملوك وحدّثي  
واستنصري القاضي الرحيم على الألى  
الخاسرين الدين والدنيا معًا  
من كلِّ مَنْ أولى به العدم الذي  
بالروح أم بمذاب آمال الصبا  
حق المحبة لا يُداس وإن جنى  
لا خير في دنيا إذا صدقت شجتُ  
تُحيين أشجانًا سأحييها غدًا  
ولئن بقيتِ فأنتِ في شرك الردى  
أخشى عليك من الضلوع لهيها  
واليومَ أقرئك الوفاء وفي غدٍ  
إن لم يمتْ بحنينهِ المُفني أسى  
ومتى أثار الليلُ كامن دائه  
لا تبخلي بالتُّرب حولك ربما



## وداع الشباب

أسفي على عهد الشباب المنقضي  
ودعته وحرستُ آمالَ الهدى  
ماضٍ يكلِّلهُ الفخارُ ومُقبِلُ  
وأنا الشفيق على الجمال وإن قستُ  
بجلالِ نعمته وحق زفيري  
فشقيتُ إلا من لقاءِ ضميري  
أرعاه بين وداده ونفوري  
وجنتُ محبتُهُ إزاء مصيري



## عبرة الشباب

الشباب والحماس والمحبة كأيام الربيع. فبدل الشكوى من قصر عمرها، حاول  
يا فؤادي أن تتمتع بها!

روكرت Ruckert



## مذهبي في الجمال

مذهبي في جلاله الحسن أن لا  
أكثر الحسن ما يسان ليشقى  
يغتدي نعمةً تحب لتفسد  
إنما الحسن ما يسان ليعبد





## الصورة المعبودة

دعوني أقدّس خيال الحبيبِ  
فكم قد سجدتُ لذاتِ الجمالِ  
ولا تنهروا مَنْ يناجي القَمَرُ  
فلما هُجرتُ عبدتُ الصُّورُ



## تناقض الحب

يُؤلِّغُ الحبُّ بالمتناقضات الوهمية، فهو أأزن ما يكون حينما لديه أقوى سبب للحبور، وزفراؤه سماتُ الفرح العميق، وصمته التعبير عن صبو الحنين.

بوفي Bouvee



## نقد وملاحظات

### النهضة الفنية (بقلم الأستاذ المبدع عبد الفتاح فرحات)

ذكر الأستاذ الموسيقار المعروف كامل أفندي الخُلعي في كتابه «الموسيقى الشرقي» أن الموسيقى «لم يُعرف لها واضع، وكل من حدّد واضعاً لها، فقد أخطأه الجد وخدمه الباطل، ولم يدرك حقيقة العمران وأطوار بني الإنسان، فإنَّ الإنسان في أيّ طور ظهر وأرض انتشر فالغناء حليفه، والشعر أليفه. أو ما تراك ترى الأمم الهمجية والقبائل الوحشية لها ألحانٌ وأنغامٌ تلائم طبيعتها وتناسب حالها؟ نعم إنها تختلف في الأمم اختلافاً هائلاً، وتتباين تبايناً عظيماً، ومنشأ هذا تفاوتهم في المدنيّة، ودرجاتهم في العلم والحضارة، فالذي ينظر مثلاً إلى الزنجي في أفريقيا، والأديب في أوروبا، ويضع كل واحدٍ منهما في كفة ميزان، يرى أنّ الأول كأنه بالنسبة إلى الآخر ليس من نوع الإنسان، بل هو من نوع آخر يشبهه في اعتدال القامة وتقاطيع العضلات، وكما أن الفرق تراه في شكلهما وعلمهما تراه كذلك بين لحنهما وغنائهما.»

وهذا أبلغ ما يقال في الإشادة بمحاسن الموسيقى الغربية، واعترافٌ لا بدّ منه إذا كانت لنا رغبةٌ حقيقيةٌ في النهضة الفنية. وقد اقتبستُ هذه الملاحظات لأنّ القصائد والأغاني التي ازدان بها هذا الديوان ذاتُ نزعةٍ أوروبيةٍ في معناها، وإن لم يكن معظمها كذلك في مبناه. وقد يتوهم بعض الناس أن المعنى ثانوي بجانب المبنى في اختيار التوقيع المناسب، وهذا خطأ لا يقل عنه تصوّر بعضهم أنّ حسن الصوت هو كل شيء في الغناء.

قال الأستاذ هـ. جيلز H. Giles: «الموسيقى في مؤلفات أعظم أساتذتها أكثرُ غرابةً وأعظم غموضاً في أسرارها عن الشعر.» فبديهي إذن أن الموسيقار العصري أكثرُ حاجةً من سامعيه إلى معرفة وتقدير ما يغنيه تقديرًا فنيًا وافرًا. وهذا ركنٌ ثانٍ من أركان

نهضتنا الفنية المنشودة، فكثيراً ما أفسد الغناء جهلُ المغنِّين، وتقليدُهم الأعمى عن غير إصابة، وعجزهم عن الاختراع.

وقد أصاب وأحسن الأستاذ الخلعي في عقده فصلاً خاصاً بكتابه السالف الذكر عن «صفة المغني الحاذق»، وفي عنايته بذكر فضل العلم والدراسة في بلوغ الإتقان صناعةً. ألم يقل الأستاذ الموسيقي الكبير بيتهوفن Beethoven: «الموسيقى هي الوسيط بين الحياة الروحية والحياة الحسية»، وكيف يتسنى ذلك إذا لم تكن للموسيقار أولاً المؤهلات الكافية ليكون حارس هذا الوسيط؟ لهذا أعتب بالنزعة الحديثة لترقية الغناء والشعر والأدب جنباً لجنب، وأشكر الأستاذ الغيور حسن أفندي صالح الجداوي أجمل شكر على مساعدته لهذه النهضة الفنية، فإن هذه المجموعة على صغر حجمها من أنفس ما ازدانت به المكاتب من شعر الغناء، ورغم أنها فياضة بالمعاني الأوروبية الجذابة، فإنشاؤها عربيّ متين، ورقنتها وعذوبتها مما يتهافت عليه طلاب الأدب، وعشاق الجمال الفكري، والشعر الوجداني المطرب. وأمل أن تنتشر أبياتها السنوية العطرة في محافل الغناء بفضل عناية نابغات الفن ونابغيه، بدل الطقائيق والأدوار والمواويل المألوفة، التي كثيراً ما أدنى بعضها أسماع وأفهام الطبقة الراقية من الجمهور. ولا يسعني كذلك إلا شكر زميلي في تمجيد الأدب والفن الجداوي أفندي، لتذيله هذا الديوان الذهبي بناءً على اقتراحي بقصيدتين للناظم من أبداع شعر الغناء، وكان الأولى به في نظري أن يضمهما إلى ما اختاره أولاً، وأن أعتذر بضيق الفراغ، ولعله في الطبعة الثانية يتوفق إلى إضافات أخرى مما شاقني الاطلاع عليه وإن لم يُنشر بعد.

ويحسن بي بعد ذلك أن أشير على سبيل المثل إلى شيء من البدائع الفنية في هذا الديوان؛ لأنها مصدر الحبور والإلهام للموسيقي الحاذق، وخصوصاً لمن امتاز بعواطف حساسة، وشارك الناظم في عوارض حبه وشكواه.

خذ مثلاً قصيدته «الطيب والزهر»، فهي من أبلغ قصائد الحب؛ لأنها على إيجازها جمعت الكثير من المعاني والتشابه والأوصاف الفتانة وعمق الحس الكشّاف. فما أبداع قوله:

رَحَلْتُ عَنْكَ رَحِيلَ الطَّيِّبِ عَنْ زَهْرٍ      يُودِي بِهِ البُعْدُ لَوْلَا حُبُّ الدَانِي

فقد شبه محبوبته بالزهر، وشبه نفسه بالطيب الذي يندثر بطبيعة الحال كلما ابتعد عن مصدره، ولكنه استدرك على ذلك بقوله ما معناه أن حبها القريب منه يجدد هذا الطيب، وبعبارة أخرى يجدد حياته التي يودي بها لولا ذلك بعده عنها. وما أبرع دقته الخيالية في قوله:

في كل لفظٍ معاني الأُسن ضاحكَةٌ      وكلُّ معنى دليلُ الصبرِ للعاني

وقوله في الإشارة إلى مكتوب حبيبته وتكريمه بل تقديسه له:

وَصُنَّتُهُ والأبْرُ الجم من ورعي      في مكن الخلد من نفسي ووجداني

وقد أجاد تصوير نظرة المعشوقة غير القانعة بقوله:

أَحَدَتْ تَلَقَّنِي الغرام بنظرةٍ      عتبت كأن أسيرها القلبُ الخلي  
فجعلتُ أسألها الأمانَ وأتقي      من لحظها ما أتقي لمؤملي  
ما بين فتنتها وبلسم حُسنها      أنا قسمةٌ لمعزٍ ومذل

وقرأت متأثراً قصيدته المشجية «عرس المأتم»، وقد فهمت من أبياتها أنها نُظمت على مسمع ضعيف من موسيقى العرس لحبيبته المغتصبة؛ وكأن كل بيتٍ منها جزءٌ من فؤاده المنفطر، وهي من شعر العواطف المتفجرة التي لا تقاوم، فله إذن مكانة خاصة في الغناء. وما أكرم شعوره وأسمى خياله الوثأب في قوله مخاطباً أنغام الموسيقى التي ربما كان الأولى به أن يشبه تأثيرها بتأثير حزّ المدى في قلبه:

وارقني أدمعي فحسبي عزاءً      أن يسرّ الحبيب من إيلامي!  
ويزفّ الجمال جنة قلبي      ضاحكاً من فؤادي المترامي!

ولعل الطبيب الأديب والعالم المطلع على الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) أول من يسجد سجوداً لخيال ووصف شاعرنا الفنّان في أبياته التالية من قصيدته: «يا قلب!»:

ثِقْ يا وفيّاً تَغْنَى شِعْرُهُ طَرَباً      بذكرها، فَعَدَا يبكي ولم يزل

في كل دقة لحن منك عاصفةٌ      وكلُّ خُفِقٍ لك القَتَّالُ مِنْ زَجَلِ  
يدوي دويًّا بك الغالي دمٌ عَرَفْتُ      به الصبابة لَوْنَ الحَبِّ لَا الحَجَلِ  
كأنما الوحي لا سَلَكٌ ولا سَبَبٌ<sup>١</sup>      من لحظها العمر بزجيهِ بلا مَلَلِ  
تَرَفُّ كالطير مذبوحًا وفي قفصٍ      أو كالرَضِيعِ هَفَا شوقًا إلى قَبَلِ

وما أروع كذلك قصيدته «لغات الغريب»، ففيها من أحيان الحزن والألم ما يهز  
الجماد، ويعجبني منها على الأخص قوله:

سأحيا وأفنى فيك أصدقَ عاشقٍ      أصاب به الزلزالُ قدوةَ أبطالِ  
وقد تُنصفُ الأيامُ نفسي وهَمَّتِي      فأدفنُ أحزاني وأطرحُ أثقالِي  
وَألثمُ ثغراً ساع لي منه بَحْلُهُ      كَلَّمُ البخيلِ الدُرَّ في كَفِّ لَأَلِّ!

ومن أجمل تكريمه للفضيلة — وهي ميزة بيّنة في كل شعره الغزلي حتى الخيالي  
منه — قوله مخاطبًا حبيبته:

كوني السنى والهدى والمنى      للعائر الراني إلى طبك  
كوني أيا ملكي غايةً      للطهرِ تدنيني إلى ربك

وهذان البيتان من قصيدته: «زينب!» ومطلعها غايةً في الرقة ولطف الخيال حيث  
يقول:

زينب! ما ألقى الخفوق الذي      لا يرحمُ القلبَ لدى قُربِك

وفي قصيدته «شمس نيسان»، كما في قصيدته «ذكرى الحب الأول» تتجلى براعته  
التصويرية والصناعية في أسمى مظاهرها. وقد أعجبني كثيرًا قوله:

رُدِّي حنانك إنني لم أصرَ بَشَرًا      من الهباءِ سوى من هَجَرَكَ الجاني!

<sup>١</sup> في هذا البيت — كما يرى القارئ — إشارة لطيفة إلى الخواص اللاسلكية.



وهو في رأيي أدقّ وأعذب وأبلغ من قول شوقي بك:

صوني جمالك عناّ إننا بَشَرٌ من التُّراب وهذا الحسنُ رُوحاني!

ويغلب على ظني أن قصيدته «الحلم الصادق»، وكذلك «خصلة شعر»، دع عنك «الكروان الرسول»، و«الجزاء العادل» وغيرها، ليست مما تطرب رجال المدرسة القديمة كما يُسمَّونَ، ولكنها من أجمل الأمثلة الحية لشعر المستقبل، وأقول «شعر المستقبل»؛ لأنني لا أنكر أنها تكاد تكون في إبداعها سابقة لزمانها. هذه الجنة الفيحاء جديرةٌ بأن تمتد ظلُّها وأن ينعم بفاكهتها، ومتنوع محاسنها جميع عشاق الجمال من أبناء العربية، ومحبي فن الغناء، وأنصار الأدب الحديث.



## الكروان الرسول

بالله يا كَرَوَانُ      تكفيك أشجاني!  
بلُّغ حبيبي الآن      أني له الفاني  
لم يبقَ غيرُ الرُّوح      في قلبي المجرُوح  
مَنْ لي سواه أبوح      مهما تناساني؟

\* \* \*

بالله يا كَرَوَانُ      تَكْفِيكَ أشجاني!

\* \* \*

يا صاحبي الفنَّان      لا زالَ لي فَنكُ  
نَجْوَى هَوَى وَحَنانُ      ما شابهَ منك  
تستقبلُ الإلهامُ      من وجهه البسَّامُ  
والشُّعْرَ والأنغامُ      مِنْ فَيْضِ وجداني

\* \* \*

بالله يا كَرَوَانُ      تكفيك أشجاني!

\* \* \*

سائلُ أعزَّ الناسِ      هل شاقُّه غيري  
أو نالُه الوَسْواسُ      والشك في أمري

زينب

سائلُ فإنصافي يا صاحبي الوافي  
منه، وإتلافي في صمته الجاني

\* \* \*

بالله يا كروانُ تكفيك أشجاني!  
قد مرّت الأعوامُ سَكْرَى بآلامي  
والقلبُ فيه ضِرَامٌ تُذكي بأحلامي  
ولوعتي بالبعادُ تُذيبُ حتى الجمادُ  
فكلُّ عيشي نَفَادُ لولا الهوى الباني

\* \* \*

بالله يا كروانُ تكفيك أشجاني!

\* \* \*

أنتَ الرسولُ الأمينُ والشاهدُ العادلُ  
لِحُرُوقِي والأنينُ لا شاهدُ القاتِلِ  
أقصى حبيبي الوحيدُ فعشت مثلَ الشريدُ  
وصِرْتُ طيفاً أبيضُ في حب دِيَّاني

\* \* \*

بالله يا كروانُ تكفيك أشجاني!

\* \* \*

بلغه يا كروانُ أزرُكي تحياتي  
وقلْ له في أمانُ الحظُّ في الآتي  
فالليلُ مهما يطولُ هيهات أن لا يزولُ  
والنجمُ بعد الأفولُ للمشرق السَّاني

\* \* \*

بالله يا كروانُ تكفيك أشجاني!

## الجزاء العادل

فِي سَبِيلِكَ  
لَمَثَلِكَ  
لَا يَضِيْعُ!  
وَتَوَزَّعُ ...  
فِي جَمَالِكَ!  
بِنَوَالِكَ!  
لِوَفَائِكَ!  
لِسَنَائِكَ ...  
يَا حَيَاتِي!  
لَأَنْبَاتِي!  
فِي سَنِينِ  
لَا يَلِينِ  
مَنْ رَضَابِكَ  
فِي دَعَابِكَ  
فِي قِيَانِي ...  
وَجَنَانِي!  
يَا غَرَامِي!  
لَأَوَامِي!

جَزَعِ الصَّبِّ، وَلِلْحَزَنِ الْعَمِيقِ  
لَوْعَةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ هَذَا يَطِيقُ  
غَيْرَ مُلْكٍ مِنْ ضِيَاءٍ وَحُبُورِ  
أَكْوَسِ الْحَبِّ بِهِ شَتَّى تَدُورُ  
بَيْنَ آلَافِ الْعُقُولِ الْحَائِرَاتِ  
وَأَغَارِيدِ الطِّيُورِ الشَّاعِرَاتِ  
غَيْرَ أَنْ الْأَكْوَسَ الْمُتَلَى تَصَانُ  
عَاشَ طَوَلَ الْعَمْرِ فِي فِرطِ الْحَنَانِ  
مِنْ صَفَاءِ الرُّوحِ وَالْحَسَنِ الْعَزِيزِ  
وَالْوَفَاءِ الْجَمِّ وَالْبِرِّ الْمُجِيزِ  
وَالْجَزَاءِ السَّمْحِ مِنْ بَعْدِ الْعَذَابِ  
كُلُّهَا كَانَتْ عِظَاتٍ أَوْ حِسَابِ  
فَإِذَا بِي الْآنَ أُسْقَى صَفْوَةَ خَمْرِكَ  
وَأَذُوقُ الْأَنْسَ أَشْهَى الْمَسْتَطَابِ  
وَأَضْمُ الصَّدْرَ لِلصَّدْرِ الْحَزِينِ  
مِنْ هَمُومٍ وَشُرُورِ الْعَاذِلِينَ  
وَيَبَاحُ اللَّثْمِ لِي مِنْ كُلِّ جَسْمِكَ  
أَهْ مَا أَشْهَى مُنَى لَثْمِكَ وَلَثْمِكَ



## يا إلهي!

يا حياةَ الرُّوحِ يا رُوحَ الحياهِ يا إلهي!  
كم يُعاني الصَّبُّ في ذكرى مُناه غـيـرَ لاه!  
غارِقًا في نارٍ وَجِدٍ لِن تَزُولُ  
وهُمومٍ وشجونٍ لِن تحوُلُ  
قَبْلَ صَوْبِ الغَيْثِ من فَتَّانِ بَرُّكُ!  
يَسْأَلُ الأزهارَ في سُكْرِ الصبَاحِ عَن سـلامـكُ  
حاسِبًا فيها بطاقاتٍ وراخٍ مَن غـرامـكُ  
حَمَلَتْها عَن نَسيمِ لي عليلُ  
وضيائٍ مَن مَحِيَّاتِ الجميلُ  
لَم يوفِّقِ سَعِيهٗ مَن فَرَطِ سِحْرِكُ!  
فَتَجيبُ بحنانٍ وَخُفوقٍ مَن نـزوعـكُ  
مِثْلَ وَحْيِ الشَّمسِ في وَقْتِ الشُّروقِ أو طـلوعـكُ!

---

<sup>١</sup> استصوبنا بعد اطلاعنا على نقد الأستاذ فرحات وملاحظات غيره من أصدقائنا الأدباء أن نضيف هذه الأغنية البديعة إلى الملحق، وكان قصدنا أولاً إبقاءها مع أغانٍ أخرى للطبعة الثانية في المستقبل. وهي منظومة فريدة بالجرأة في خيالها، واللفظ للجميل الجميل في معانيها العصرية، والتفنن في النظم والبيان.

«لستُ من يعطيك من مُلكي الجزيل  
 في حياتي، فهي معبودي البخيل!»  
 فارحمي؛ حتى الضحايا بينَ زهرك!  
 إليه يا (زَيْنَ) فريداً الجمالُ في الطبيعته  
 كلها جذابةً منك النوالُ لن تضيعه  
 حرصها حرصي على حُبِّي النبيلُ  
 ووفائي يا مُنى قلبي الخليل  
 لعهودِ ناقها من قبلِ هَجْرِك!  
 لا تقولي: «لم تكن»، رغمَ الحياءِ في شبابي  
 فهي شوقي وولوعي والوفاءِ واضطرابي  
 وجنوني حين أقصاك الرحيلُ  
 عن فؤادِ طاهرٍ عانِ ذليلُ  
 ذنبُهُ حفظٌ لسرِّي مثلَ سرِّك!  
 واصفحي عن ذلك الماضي الأليمِ صفح طهر  
 أنتِ ربُّ الظلمِ والربُّ الرحيمِ دونَ عذْر  
 واجعلي الغفرانَ إحياءَ القتلِ  
 فهواكِ الباعثُ المَوْتَى كفيلاً!  
 وهو حيٌّ ميتٌ راضٍ بأمرِك!  
 اصفحي يا مهجتي يا نارَ خُلدي يا جناني!  
 واسمحي بالبرِّ يا أنسي ووجدي يا بياني!  
 كلُّ لفظٍ منكٍ للنعْمَى دليلُ!  
 كلُّ سطرٍ ملؤه الشُّعْرُ الجليلُ!  
 ومعانٍ للهوى من حُلُوِ ثغرك!



## عمر الحب

الحب لا عُمر له؛ لأنه دائماً يجدد نفسه.

باسكال Pascal

الحبُّ نومٌ، والحبُّ حلمٌ، وقد عشتَ إن كنتَ أحببتَ.

ألفريد دي موسيه Alfred de Musset

الحب لا يندعم، فنارُهُ الطاهرةُ دائماً مشتعلة. وقد جاءت من السماء، وإلى السماء تعود.

سُوذي Southey

الحب هو الذاكرة الوحيدة التي تقوى مع الزمن.

الدكتور باركر Dr. Parker



## طفولة الحب<sup>١</sup>

نشأة الحب التي لم تحفظيها  
لم تشأ تركي ولو لم تتركها  
عرفت قدرتي وإن لم تقدرها  
وتأسست أه، لو لم تهجرها  
مُهجتي الصغرى بها كي تلهمها  
بعْد هَجْرِي فِي عَذَابٍ وَسَعِيرٍ  
مَا بَدَّتْ فِي غَيْرِ مَرَاةِ النَّضِيرِ  
فَاحْتَمَّتْ فِي صُحْبَتِي مِنْ كُلِّ ضِيرٍ  
لَأَفَادَتِكَ كَخِلِّ وَعَشِيرٍ!  
مِثْلَمَا تُغْنِيكَ مِنْ شَوْقِي الْكَثِيرِ!

\* \* \*

سَطَّرْتُ مِنْ كُلِّ حَسِّي وَفَوَادِي  
وَتَجَلَّتْ فِي حُلِيِّ مِنْ سُهَادِي  
كُلُّ سَطْرٍ ضَمَّ جِزَاءً مِنْ رِشَادِي  
نُحْبَةُ مِنْ شَعْرٍ رُوحٍ لَمْ تَفِيهَا  
كَانَ يَتْلُو آيَةً لِلْحَبِّ فِيهَا  
وَحَوَّتْ مِنْ صَفْوِ أَنْوَاعِ الْبِيَانِ  
وَجِنَانِي وَغِرَامٍ وَتَفَانِ  
مِثْلَمَا ضَمَّ أَغَارِيدَ الْمِثَانِ  
وَعُنَاءٍ مِنْ مُعْنَى بِلِ ضَرِيرِ  
كَلِمَا وَافَى بِقَلْبِ الْمُسْتَنْيرِ!

\* \* \*

---

<sup>١</sup> هذه قطعة أخرى بديعة اخترنا نشرها في هذا الملحق على سبيل التنوع وإتماماً للفائدة. وهي مبنية على عواطف الشاعر حين عثوره بين أوراقه بعد غياب طويل على مذكرة حبيبته الدراسية، وكان يدرس لها في الآداب العربية، كما كان ينعم بغنائها وتوقيعها. فأثر في نفسه هذا الاتفاق الغريب: اتفاق عثوره على مذكرتها التي أهملتها بين أوراقه الخاصة، ونظم في ذلك هذه الأغنية المشجية المؤثرة.

كم تقصّي مجلسٌ فيها وفيه  
بينَ نرسٍ واشتياقٍ لا يليه  
منَ بَنانٍ لاعبٍ كم يشتهيه  
فأقضي أنسَ ساعاتٍ شبيها  
ما تمنى غيرَ أن لا يصطفِها  
من مَلدّاتِ التلهّي والطفولَه  
غيرُ سَمعٍ للموسيقى الجميله  
كلُّ من يرجو إلى النعمى دليلَه  
في ذُهلٍ بسجينٍ أو أسيرُ  
غيره سمعاً إلى اليومِ الأخير!

\* \* \*

آه! كم كنتُ أراعي من جَمالكُ  
أتحاشى في مراعاتي لحالكُ  
كلُّ حظي خلسةً نجوى سؤالكُ  
تلك نفسٌ تيمتُ لم ترحميها  
وأمانِي مهجةٍ لم تعرفيها  
شمسَ إقبالٍ وسعدٍ للغداهُ  
نظرةً طالت، وإن فيها الحياهُ!  
وابتسامُ منك ... ما أحلى لماه!  
رغمَ سني ... يا لتعذيبِ الصغير!  
في زمانِ الحبِّ عرفانِ الضمير!

\* \* \*

ثم ولى ذلك العهدُ الكريمُ  
آه! ما أقساك يا ربّي الرحيمُ  
ما بكى إلا كما يبكي الفطيمُ  
فبكتُ مثلي عيونٌ لم تريها  
وتلقّتني كأماً لبنيها  
وغروب الشمس يتلوها الشفقُ  
آه! ما أشقى محباً قد صعقُ!  
حين يُسلى، لا كعبدٍ قد عتقُ  
للوفاء الحيّ والنُّبْلِ الكبيرُ  
رحمةُ الدنيا على قلبي الكسير!

\* \* \*

فقضيت العمر أبكي ثم أبكي  
فإذا بالصبر يُفني بعضَ شكّي  
وأراك الآنَ مَنْ يدنو لِفكّي  
فلكِ الشكرُ، وها نفسي سَليها  
فارحمني، أو فاضلمي، أو فاقتليها  
بين عَتَبِ الصبرِ والدهرِ المسينِ  
وأمرَ الهجرِ يمحوه الزمَنُ  
من إَسارِ الذعرِ لا أسرَ الشَّجَنُ  
هل لها إلاكِ يا كَنزِي الوفيزُ؟  
بنسيمِ الحبِّ لأقاسي الهجير!

\* \* \*

وتغنّي بمُدامِ الفَجْرِ طائرُ  
وكأنَّ الشمسَ لَبَّتُهُ كساحرُ  
عاشقُ مثلي، ولكن في هناءُ  
وجمالُ الكونِ ما غنّى وشاءُ!

طفولة الحب

فأهاج الشعرَ من قلبٍ وخاطرُ  
واستوى الحُبُّ على عرشِ الفضاءِ!  
فبحثتُ عن سطورٍ لم تَعِيها  
كلها ذكرى لأحلامِ السرورِ  
ومعانٍ للهوى لم تُدركِها  
تتهادى بكريماتِ الشعورِ!

\* \* \*

فتناولت قريراً في خشوعٍ  
وتأملتُ به بينَ الدُّموعِ  
وشذى الحبِّ به صَفْواً يَضوع  
ليت شعري هل يوفى من ذويه؟  
يرتوي منها غرامِي فيليها  
قطرةً من مَدْمَعِي البحرِ الغزيرِ!  
نابتُ الحب على رغمِ الصخورِ!



## تولد الغناء والشعر

### بقلم جميل صدقي الزهاوي

نعد من حسن حظنا أن نوفق للحصول على هذا المقال الانتقادي النفيس من قلم الأستاذ الزهاوي؛ لنختم به هذا الديوان، ففيه ما يغني عن الإسهاب في تعزيز الروح التجديدية الشائعة في نظم الأستاذ الدكتور أبي شادي، ولا سيما ما يستملحه من أوزان جديدة، كثيراً ما لا يرضى عنها رجال الأدب القديم. قال الأستاذ الزهاوي حفظه الله:

كانت المرأة أو الرجل قبل عصور التاريخ تكرر كلمات التوجع عند الفجيرة وفاق لطم الوجه أو اللدم على الصدر أو الشهيق والزفير، وهي تطيل تارة تلك الكلمات وتقصرها أخرى أو تبدي تأوهات وتنهدات فوق ذلك اللطم والدم أو الشهيق والزفير. وهي إذا نذبت ترفع صوتها مرة وتخفضه أخرى تبعاً لفوران إحساساتها، أو خورها من كثرة اللطم والدم، ويتخلل كلماتها أو حروفها نشيج وانقطاعات قصيرة كما تفعل اليوم المرأة القروية أو البدوية في بلادنا.

وكذلك كان الرجل المتحمس والمرأة الجذلى يبديان إحساسهما بكلمات توافق رفس الأرض بالرجل مرة أو مرتين، أو مد الذراع وقبضها أو قفزاتهما، ووثباتهما عند الرقص أو الحماسة كما يفعل اليوم المتهوسون.

وكان يشترك عند المناحات أو الأفراح المعقبة للانتصارات أو المظاهرات الحماسية عدد من النساء والرجال معاً بإعادة الكلمات التي تفوه بها النائحة أو الرئيس، أو إعادة رفس الأرض ومد الأيدي وقبضها على نسق واحد ونظام من غير زيادة ونقصان.

أما الغناء فقد تولد من امتدادات تلك الأصوات وانقطاعاتها المتخللة إياها وارتفاعاتها وانخفاضاتها بعد أن أخذت أشكالاً معينة بسبب التكرار وإقبال الجمهور عليها إلى أن صارت كلما قلدها أحد تعيد في السامعين والسامعات تلك الإحساسات. وتفرعت تلك الأشكال بتعدد القبائل، وتأصلت بالوراثة بطناً عن بطن، في عصور وأحقاب طويلة.

والموسيقى هي الغناء نفسه، وبعبارة أخرى هي تقليد تلك الأصوات بما يتخللها من الانقطاعات، وما لها من الارتفاعات والانخفاضات بواسطة الأوتار أو غيرها، وجعل سلم منها لهما، وكأن العود التي يوقع على أوتارها لحن موسيقي يذكر السامع بشكاة من الآلام قد ورثها البشر من أسلافهم الأقدمين، فهو وإن لم يتذكر الألفاظ يتحسس بوزانها ورفع أصواتها وخفضها.

وأما الشعر فمتولد من تلك الأصوات والانقطاعات التي تتخللها بإعادتها أو زيادة مقطع عليها أو حذفه أو تبديل مقطع بآخر بألفاظ تدل على إحساسات جديدة ومعانٍ تريدها النائحة أو المتحمس تشعران بتلك الإحساسات القديمة، ففيه إحساسان الأول هو الموروث عن الأجداد بإثارة الأوزان لها، والثاني هو الحادث بإثارة ما تدل عليه الألفاظ من المعاني، ولذلك كان يفضل الغناء المجرد من الألفاظ. ولما كان في الغناء تفصيل تلك الأصوات والانقطاعات وتمثيل لارتفاعاتها وانخفاضاتها ليسا في الشعر قرنوا بينهما، فتضاعف تأثير كل منهما بسبب الآخر، وهما على كل حالة شقيقان قد تولدا من إحساس واحد.

فالشعر في أصله كلمة تنطق بها المفجوعة مكررة إياها، وهي تلمظ وجهها أو تلم صدرها، كما إذا قالت «ويلي ويلي»، أو «أوه أوه»، بفترات قصيرة، أو قالت «قد ماتوا قد ماتوا»، أو «يا ويلتا يا ويلتا»، أو «أين أهلي أين أهلي»، أو «لقد هلكوا لقد هلكوا»، إلى غير ذلك من الكلمات التي يكررها المفجوع. ثم تقدموا فيه فأخذوا يؤلفونه من تفاعيل ثلاثة أو أربعة، ثم جعلوا يغيرون بعض تلك الكلمات مع المحافظة على الوزن، ثم جعلوا يؤلفون بين الكلمات من وزانين مختلفين.

وقد كان الشعر في أوله شطراً واحداً، ثم جعلوه شطرين متطابقين في وزان الكلمات، مع تكرار الكلمة الأخيرة، ثم جعلوه عدة أبيات موافقة لأول شطر من غير إعادة شيء من الكلمات، إلا الروي الذي هو بمثابة عضو أثري للكلمة التي كانوا يعيدونها، وهذا النوع هو القصيد. وترى مما ذكرت أن الشعر مثل الأحياء، قد مشى على سنن الارتقاء من البسيط إلى المركب.



وقد تفننوا في الأوزان، فولّدوا من بحر أو بحرین بسيطين بحورًا كثيرة. والبحور البسيطة هي التي تفاعيلها على وزن واحد، كالمتدارك والمتقارب. والمركبة هي التي تفاعيلها على وزنين كالطويل والخفيف. والقسم الأول أقدم من الثاني لبساطته. وقد ظن الكثيرون أن للأوزان حقيقة في الخارج، فجعلوا يتساءلون عن كيفية العثور عليها، وهذا خطأ، فإن الوزن هو هذا الذي يقوله الموتور أو المتحمس عند ثورة إحساساته، ويكرره، فإذا كان شديد التأثير، وهو لا يكون مؤثرًا إلا إذا تألف من عدة تفاعيل متناسقة، شاع وغنى به غيره، فكان وزنًا من الأوزان. ومثل هذا ما تقوله النائحات اليوم من الكلمات التي تكررهما لإثارة الحزن، أو المتحمس لإثارة الشجاعة، وهو ما نسميه «الهوسة»، وليس لهذه الأوزان حد لتكون ستة عشر بحرًا، بل الأبحر الستة عشر هي الأوزان التي سمعت من عرب الجاهلية. وقد أتى بعض المولدين بأوزان أهملها العرب، منها ما أجزأه مفاعيلن فعولن مرتين لكل شطر وهو عكس الطويل كقوله:

لقد هاج اشتياقي غرير      الطرف أحور  
أدير الصدغ منه على      مسك وعنبر

ومنها ما أجزأه فاعلن فاعلاتن مرتين لكل شطر، وهو مقلوب المديد كقوله:

صاد قلبي غزال أحور ذو دلال      كلما زدت حبًا زاد مني نفورًا

ومنها ما أجزأه فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن لكل شطر كقوله:

من مجيري من الأشجان والكرب      من مديلي من الأبعاد بالقرب

ولعرب البادية وقبيلة المعوان وغيرهم اليوم أوزان ليست شيئًا من بحور الخليل، وهي مع ذلك جميلة في الغالب. كقول بعض النائحات:

دَحَجَتْ لَنَّ الكبر كامه      لن اللحد ضيغ منامه      تلوذ بعلي ذيج الجهامة

«دحجت» نظرت، «لَنَّ» وإذًا، «الكبر» القبر، «كامه» قامه، «ذيج» تلك، «الجهامة» الصورة. وأجزأه لكل شطر مستفعلن مستفعلن لن.

وقول بعضهم:

مكلت لـج يا يَمَّه      على الروحي عيني  
مدري الرحيَّة ثجيلة      لولا العشج راميني

«مكلت لـج» أما قلت لك، «يا يمه» يا أماه، «مدري» ما أدري، «الرحية» الرحي، «ثجيلة» ثقيلة، «لولا» أم، «العشج» العشق. وأجزاؤه مفاعلن مفعولن أو مستفعلن مفعولن لكل شطر.

وكقول أحد شعراء البادية من قصيدة:

يا ما حديناهم ويا ما حدونه  
يا ما سجيناهم ويا ما سجونه

لا جننا أصبر من الواشجونه  
ولا مثلنا يوجد على الموت صبار

«سجونه» سقونا، «لا جننا» لكننا، «الواشجونه» المشبهون لنا. وأجزاؤه مستفعلن مستفعلن فاعلاتن لكل شطر. أما الواو في «ولا مثلنا» فهي ساكنة يجوز الابتداء بها في لغة العامة والبدو من غير أن يختل الوزن. إلى غير ذلك من أوزان اخترعها بأنفسهم، فهم أكثر اختراعاً من شعراء اللغة الفصحى.

وإخال أن عرب الجاهلية قد فرضوا الشعر على أوزان كثيرة، غير أن أكثرها ماتت لعدم ملاءمتها لأذواق الشعوب يومئذ، فلم تقو على تنازع البقاء ولا طمع في أن نجد جثتها المتحجرة في طيات التاريخ. ولم يبق حياً ينشد أو ينسج على منواله إلا البحور الستة عشر.

وكانوا لا يقسمون الشعر إلا من حيث قلة أجزائه أو كثرتها، أو قصر الأبيات وطولها، فيسمون القصير رَجْزًا والطويل قَصِيدًا. قال أحدهم: «أرجزًا تطلب أم قَصِيدًا؟» (ليس المقصود من الرجز هنا البحر المعين).

وأرى أن لكل شاعر اليوم أن ينظم على أوزان يختارها غير مرتب بأوزان الخليل، بشرط أن تكون خفيفة على السمع، كما إذا أتى لكل شطر بألفاظ على وزن فاعولن فعولن، أو مفاعيلن فعولن، أو مستفعلن لن فعولن، أو فاعولن مستفعلن لن، أو فعولن مستفعلن فعولن، أو فاعولن فعولن، أو مفاعيلن فاعلاتن فعولن، إلى غير ذلك.

وأوزان الخليل البسيطة هي التي تتكرر تفاعيلها متشابهة في كل شطر، كما في المتدارك، والمتقارب، والكامل، والوافر والهزج، والرجز، والرمل. والأوزان المركبة هي التي تختلف فيها التفاعيل، كأن تتألف من عددين مختلفين منها، كما في الطويل، والبسيط، والمديد، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث. وهذه أرقى من الأولى، وأرقى الجميع هي الأوزان التي يتركب كل شطر منها من ثلاث تفاعيل مختلفة، مع توافق في الشطرين، أو زيادة مقطع في آخر الشطر الثاني وحذفه، فيكون التكرار المطلوب من تفاعيل الشعر بإعادتها في الشطر الثاني وفاق الشطر الأول.

والرؤي هو علامة التكرار، كأنه نص عليه، وقد كان في أصله تكرارًا للكلمة الأخيرة من كل بيت، ولكن التفنن في الكلام والاقتصاد في المعنى جعلنا مع الزمان لا يتكرر من الكلمة الأخيرة إلا آخر حرف منها، فهو عضو أثري سوف يزول في المستقبل، فيكتفى بتوافق وزان الكلمات الأخيرة في القصيدة من غير إعادة الحرف الأخير.

وقد بدأ كثير من شعراء العصر يغير القافية بعد كل بضعة أبيات، كأن نفوسهم سئمت الخلاخيل في أرجل غانيات الشعر فجردوها منها.

وفي عدم تسمية عرب الجاهلية للأوزان التي كانوا ينظمون عليها شعرهم دليل على أنها لم تكن لديهم محدودة كما هي لدينا اليوم.

